القصر والإفراد في الأدعية النبوية ﷺ فى الصحيح المسلم

الدكتور حافظ شفيق الرحمن *

عبدالخالق وتو**

Abstract

Praying is the holy tradition of the Holy Prophet (P.B.U.H) His prayers are an ample proof of his rhetorical command on the Language. However, purity of language and its comprehensiveness are the salient features of his supplications. Therefore, it is very easy to memorize them by heart. Remembrance of these prayers opens the ways of success in life.

This article deals with the style and diction of the Prophet's prayers and their other literary characteristics. A study has been made of both inwardly and outwardly beauties of his prayers with the help of often quoted and reported supplications. In fact, literary qualities of the Prophet's prayers are the testimonial of his being dynamic rhetorician. Proverbs and prayers reported by him are the unique expression of *hismiracle "Jawam' al Kalim*

Key Words: *Muslim, prayers, rhetoric, supplications, literary characteristics, literary qualities*

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن كلاما مؤلَّفا منظما، بحسب المصالح منجما،جعله على قسمين **متشابها** ومحكما، استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل شيءٍ بالعدم، أنشأكتابا ساطع التبيان،

*الأستاذ المشارک قسم اللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامية بهاولبور

**الباحث بمرحلة الدكتوراة قسم اللغة العربية و آدابها الجامعة الإسلامية بهاولبور

قاطع البرهان، وحيا ناطقًا ببينات وحجج، قرآنا عربيا غير ذي عوج،مفتاح كل منفعة دينية ودنيوية، مصدقًا لما سبقه من كتب سماوية.

والصلاة والسلام على معدن البلاغة والفصاحة، ومنبع الجود والسماحة، رسول الله أبي القاسم، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ذي اللواء المرفوع في بني لؤي، وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي، المثبت بالعصمة، الناطق بالحكمة، الواضح الغرة والتحجيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيد بجبريل، وعلى آله ،الأطهار، وخلفائه الأبرار، من تزوج الأختان منهم والأصهار، وعلى جميع المهاجرين والأنصار، ثم أما بعد:

الأدعية المأثورة عن النبیﷺ مظهر من مظاهر النبوة يحتوى أقل عبارته على الروائع الأدبية الكثيرة مثل انطواء الإناء الصغير على البحر الكبير ، فكانت عباراتها من جوامع الكلم ، التى قل عدد حروفها و كثر كم معانيه المنزهة عن التصنع و التكلف - ونر ى من خصائص استعمال المبسوط موضع البسط، و ايقاع المقصور موقع القصروهجر الغريب الوحشي ، واستكاف الهجين السوقي -فلم ينطق النبى ﷺ عن عواطفه المرضية إلا قد حفت بالعصمة و شدت بالتأييد الرباني -

و تلک الأدعیة النبویةﷺ هي التي ألقى رسول اللهﷺ عظلال المحبة عليها بالقبول الحسن ، تلوح دائما عليها الطلاوة ، و جمعت بين المهابة والحلاوة- بأسلوب جيد الإفهام مع قلة أجزاء الكلام لم يسمع الناس كلاما أعم منها نفعاً- ولم يجدوا أصدق منها لفظا ولا أعدل وزناً و أحسن مذهباً،ولا أكرم مطلباً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناها،ولاأوضح من فحولها-

وإذا تدبّرنا في الأدعية النبويةﷺ من جهتي ?ناعتها اللغوية والبيانية نجد أنها مسددة اللفظ محمكة الوضع، جزلة التركيب، متناسبة الأجزاء في التاليف فهي كلام فخم الجملة،واضح الصلة بين اللفظ والمعنى المراد، و بين اللفظ و ضريبة فى التاليف والتنسيق،ثم لا نرى فيه حرفاً مضطرباً،ولا كلمة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه ولا نجد فى كلمة أختها من المترادفات أتم منه أدء للمعنى -

إنما نجد فى الأدعية النبويةﷺ استعمال جميع أقسام البلاغة والفصاحة والحقائق والمجاز مع سائر الأقسام من الإيجاز والتشبیه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان والكنایة وجميع أنواع البيان والبديع و فيما يلي نتناول جانباً واحداً من تلک الجوانب العديدة وهو جانب علم المعاني و نماذجه فى الأدعية النبوية ﷺ

موجز عن علم المعانی:

يُعرف علم المعاني بأنَّه العلم الذي يبحث في الجملة، وكلّ ما يطرأ عليها من تغيير؛ وذلك من حيث التقديم والتأخير، والحذف والإضافة، والتعريف والتنكير، والقصر والتخصيص، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، مع مراعاة قواعد النحو، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال-([1])

القصر ودلالاته البلاغية فی صحیح مسلم:

يعدّ القصر من أساليب التّوكيد البلاغية، بل تستطيع القول بأنّه أعلاها مرتبة لأنّه توكيد فوق توكيد ، ففيه تختصر جملتان في جملة واحدة ويتحد معنيان ليؤكدا معنى واحدا.وهذا لا يعني أن كل توكيد ينبغي له القصر،فأي أساليب التوكيد البلاغية إذا اقتضاها السياق كانت أسن وأبلغ، وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص نحوقولنازيد شاعروقولك: ما زيد منجم بل شاعر، وطرق القصر أربعة -(2)

١ – القصر بإنما وهي أداة القصوالمشهورة،نحو قوله تعالى :(***إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ***)([3]) وهنا يتأخر المقصورعليه وجوبا على المقصور.

٢-القصر بالنفي مع الاستثناء ،وفيه ترد أداة نفي في سياق الاستثناء لغاية القصريكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء،نحو قول الشاعر –(4)

وقد علمت. سلمى وجاراتها ما قطُّر الفارس إلا أنا

– القصر... بحروف العطف (لا، بل، لكن) نحو قولنا:

المتنبي شاعر لا كاتب، وهنا يتقدم المقصور عليه قبل حرف العطف ليستوي المعنى...ما الأرض ثابتة لكن متحركة. ويكون المقصور عليه متأخر بعد حرف العطف لكن ... ما الأرض ثابتة بل متحركة. ويكون المقصور عليه متأخرا بعد بل. القصر بتقديم ما حقه التأخير،كقوله تعالى : ((**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)) ([5])

وأشار سيبويه إمام النحاة إلى القصر فقال :(كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، و إن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم) ([6]) .ويكون التقديم للجار والمجرور أو ضميرالنصب المنفصل. و في أدعية المصطفى عليه السلام تتبع البحث أسلوب القصر بصوره الأربع .

فوجد أن القصر موجود بطرقه إلا واحدة وهي القصر بحروف العطف، والأدعية كالآتي وفق طرق القصر السابقة: القصر بإنّما : دعاء واحد فقط وردت فيه (إنما) وهو قوله عليه السلام :

(اللَّهُمَّ إِنَّما أنا بَشَرٌ، فأيُّما رَجُلٍ مِنَ المسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أوْ لَعَنْتُهُ، أوْ جَلَدْتُهُ، فاجْعَلْها له زَكاةً ورَحْمَةً.) ([7]) وجمهور العلماء على أنها (إن المؤكدة) و (ما الكافة)، رغم أن بعضا منهم قال إنها (ما النافية) حملا لهاعلى النفي والاستثناء في قوله تعالى ((**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**)) ([8]) و القصد : ماحرم عليكم إلا الميتة والدم. وهذا ضعفه كثيرون. ويقول فيها الجرجاني : " أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريف بأمر هو مقتضاه "-([9])

.وإنما في الحديث الشريف السابق تحمل في لفظها ومعناها الحصر،فقد قصر عليه السلام ضمير المتكلم (أنا)على البشر، وفي هذا تقييد له بأنه لايعدو واحدا منهم.ولوقال : بشر أنا،لأفادت معنى التوكيد فقط، ولكن إنما جعلت التوكيد أقوى بتعديه لجمع معنيين في معنى واحد :أن الرسول بشر وأن البشر يخطئون.

2-القصر بالنفي مع الاستثناء: دعاءان اثنان وردا على هذه الصورة وهما: -

(اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم) ([10])

ودعاء الكرب : **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)** ([11])

وطريقة القصر بالنفي والاستثناء تستعمل في المعنى الذي يحتاج لزيادة التوكيد والتقرير ، وفي كلا الحديثين حديث عن التسليم والانقياد والإيمان الذي لا يشوبه شك بقدرة الله وتحكمه وقدرته على المغفرة والرحمة، لذا كانت هذه الطريقة أبلغ في جعل الخبر يقينا وإظهار قناعة الداعي وبعده عن أي شك أو تردد. وأدوات النفي كثيرة نحو(ما،لا،لن، ليس) ولكل أداة معنى تؤديه، وجرس خاص بها لا يؤديه غيرها. وفي الدعائين السابقين كانت أداة النفي (لا) وهي أداة عامة الدلالة تتحدد دلالتها بمدخولها، دخلت على الجملة الفعلية في الدعاء الأول ونفت الفعل المضارع وهو نفي ممتد لا ينقطع،أسهم في إبراز المعنى المراد من الدعاء.وفي الثاني دخلت على الجملة الاسمية (لا إله إلا الله) فنفت الجنس وأظهرت الاستغراق، وهذا حالها إذا دخلت على نكرة، وبهذا كانت (لا) مع الاستثناء هي الطريقة الأبلغ لنفي الألوهية عن غير الله وقصرها عليه وحده سبحانه وتعالى . والقصر هنا يراعي صفة الألوهية ومعاني التوحيد، تنزيها لله عن أي شرك له وهذا من باب قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقا، لأن الألوهية صفة، لا يمكن ادعاؤها لغير الله .

ودعاء نبينا الكريم يشبه دعاء يونس عليه السلام، إذ نادى ربه مستغفرا :

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) ([12])

وإذا كان الخبر في الآية جاء مؤكدا بإن التوكيدية، وأسلوب الحصر، ليظهر يقين يونس عليه السلام وإقراره بذنبه، فإن التكرا ر لجملة لا إله إلا الله في الدعاء النبوي زاد على التأكيد تأكيدا وضاعفه، ليكون المعنى قويا وجليا لا شك فيه ولا ريبة ٠

القصر بتقديم ما حقه التأخير، تقديم شبه الجملة (النمط الأكثر شيوعا في الحديث النبوي، ومثل ذلك قوله عليه السلام : **(بك وضعت جنبي) – – (لك أسلمت) (بك آمنت) (عليك توكلت)** ([13])

وفي لغة العرب تقديم الجار والمجرور يكون لمزيد من الاختصاص- أن هذا التقديم في الأدعية الشريفة بتقديم شبه الجملة على الفعل،يختصر الكثير من المعاني المتعلقة بالإيمان والربوبية ماكانت لتظهر لو أخر الرسول الكريم الجار والجرور، فليس التوكل أو الاستسلام هو الذي يؤرق رسولنا عليه الصلاة والسلام،بل بيان المعبود الذي تتعلق به كل هذه الأحوال فكان التقديم أقوى في ترسيخ التعلق والخضوع.

وتستطيع أن نخلص من هذا إلى أن القصر في الدعاء النبوي ماثل نظيره في القرآن الكريم، والعربية، إذ استعملت (إنما) في حديثه –عليه السلام– لتقرير حقيقة معينة، وهي كون الرسول عليه السلام بشرا، وهي إعلان لله وللناس من حوله بأنه إنسان يخطئ ويصيب، ويرضى ويغضب، ويسر ويحزن . والخطاب في الدعاء هنا ماثل الآية القرآنية التي تقول : **((قل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ))** ([14])

وفيها أيضا تهيئة للخطاب بعدها، وتمهيدا لما سيكون بعدها، فكون النبي الأمين بشرا تتنوع حالاته النفسية وتتفاوت ردود فعله، مقدمة حسنة قد تصدر منه بغير قصد أساءة لأحد آذاه وهذه قمة الذكاء اللغوي في سرد التمهيد وإلقاء الخبروأما النفي والاستثناء ، فأسلوب الجار والمجرور) على متعلقه وهو عرفه الدعاء النبوي واستعمل للمعاني التي احتاج فيها النبي صلوات الله عليه– إلى مزيد من التوكيد والتقرير، فهي تلقاك إلا حين تلقاك النبرة العالية والنغمة الحاسمة، والتعبير السديد لذا جاء القصر في الدعاء النبوي لغاية عظيمة وسامية٠

الإفراد في الدعاء النبوي:

عني اللغويون والبلاغيون العرب بالإفراد والجمع، وألفوا فيها المؤلفات، وذكروا النكات البلاغية فيها، ويذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان، أن الأخفش ألف كتابا في الإفراد والجمع، ذكر فيه ما وقع في القرآن مفردا وما وقع جمعا .

وفي الدعاء النبوي شواهد بارزة هنا وهناك، على كلمات جاءت مفردة في دعائه عليه السلام ، ولم ترد جمعا فيه أبدا من مثل (حسنة، نورا، مدّهم، صاعهم، قوتا، النار) وهذا الإفراد له دلالته ولا شك، فكلمة حسنة في دعائه عليه السلام : (**اللهم آتنا في الدنيا حسنه**) ([15])

جاءت نكرة من ناحية لتدل على عموم ،كما جاءت مفردة لتدل على الشمول والاحتواء ،

فالحسنة يندرج تحتها أي فعل أو أمر حسن، وتبدو بأجزائها واضحة المعالم، ولو كانت جمعا (حسنات) ، لقبح المعنى، وظننا أن لكل حسنة نوعا خاصا بها من الثواب والأجر ، والعدول إلى المفرد (حسنة)عن الجمع تصرف في الصيغ، وإلباس المفرد معنى الجمع مما يشعر بالكثرة والعظمة،ويمكن أن يعد هذا من الإيجاز أيضا.

وكلمة(نورا) في قوله عليه السلام :

(**اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا**) (16) يشبه معنى قوله تعالى :

((**رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا**)) ([17])فالنور لغة:هو الضوء وسطوعه –18 وهو ما يرينا حقيقة الأشياء. أما المعنى المراد فهو الهداية والحق والتقوى، ومخافة الله ، وهو في عمومه يدل على كل خير، والنور أصل الرؤية والإبصار،وبه يهتدي المرء ويبصر، ولو كانت على الجمع(أنوار)لأشعرت بمعنى الضوء المعروف،فكان إفرادها أقوى في إبراز دلالتها على الهداية والاستقاهة.

وكلمة النار في قوله ﷺ : (وقنا عذاب النار) (19) فلفظة النار مفردة بالرجوع إلى أصلها فهي من أصل واحد ومادة واحدة، فالإفراد يناسبها لا الجمع، وهي تشمل كل معاني الهلاك والثبور والغناء ، وهي في إفرادها تشبه إفراد الريح المعنية بالعذاب والهلاك، إذا دعا بها الله على أقوام فتفنيهم .

أما في قوله ﷺ : -- (**اللهم اجعل رزق آل مُحَمَّد قوتا**) (20) ففي إفراد القوت عموم أيضا، حيث يشير إلى كافة أنواع الطعام، لكن بقدر الكفاف، مما يؤمن العيش والبقاء ، فجعل(قوت)مفردة، ولو جمعها لما دلت على القلة، ولظنناها جمع لزيادة .

أولا : علاقات الجمل

يوجد بين الجمل روابط وثيقة، وعلاقات قربى ، فهي تنتظم في السياق، فتأتي بالمعنى المراد وفق نظام محكم . وقد سئل البلاغيون عن البلاغة ما هي؟ فأجابوا بأنها معرفة الفصل من الوصل (21) وقالوا بأن الفصل والوصل فن عظيم، صعب المسالك، دقيق المأخذ، لا يحيط به إلا بليغ فهيم، عارف بكلام العرب بطبعه وفطرته وذوقه . وقال الجرجاني بأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر معاني البلاغة،وقال :

"اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض ،أو ترك العطف فيهاوالمجيء بهامنثورة،تستأنف واحدة منها بعدأخر من أسرار البلاغة"(22)

والعطف يفيد الاشتراك في الإعراب، والإشراك في الحكم، والإشراك في المعنى، وقيل إن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللالئ بلا نظام-23. ولايكون الفصل أو الوصل إلا لإثارة نفوس المخاطبين والتأثير فيهم.

الوصل ... الوصل من وصل الشيء وصلا وصلة ،والوصل ضد الهجران (24)

والوصل اصـ ـلاحا:

ربط معنى بمعنى لغرض بلاغي. وأدوات الوصل متعددة،من مثل: حووف العطف،وحروف الاستئناف وكلمات المصاحبة وغيرها , وحروف العطف أقواها لأنها الأولى مرتبة في الربط. إذن تستنتج أن الوصل باختصار عطف الجمل بعضها على بعض، وإحداث علاقة تربطها معا، ويظهر للمتأمل في أحاديث الدعاء أن الوصل فيها كثير، انظر قوله عليه السلام:

(كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ.) (25)

فلسان الداعي يلهج في قرارة نفسه، ومقام الدعاء حار صادق، إذا انطلق الداعي منه وتوجه بطبيعته البشرية الطامعة في رحمة الله خرجت الجمل معطوفة بعضها على بعض، وقد تصل إلى أربع أو خمس جمل كما رأينا .والواو حرف يفيد الاجتماع ،وليس أنفع منه أداة للوصل بين كل هذه الأمور ،ولم تكن أداة أخرى لتؤدي الغرض ذاته.

وكلما كثرت الحاجات والطلبات وتنوعت، كثر العطف (أي الوصل) في الدعاء ، ومن ذلك قوله عليه السلام : ("**اللهم اغسل خ ،اياي بماء الثلج والبرد، ونقِّ قلبي من الخ ،ايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خ ،اياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.**")(26)

فالغسيل والتنقية والمباعدة عن الآثام كلها مطالب متفقة وتدور في معنى واحد، لذا كان العطف بالواو أقوى، ومن بلاغة الوصل أن لكل أداة موضعا لا يصلح لأداة أخرى . ويلاحظ أن العطف أو الوصل هنا بين الجمل الإنشائية،فكلها جمل طلبية مبدوءة بفعل الأمر.

ويكثر العطف في الدعاء النبوي بحرف العطف (الواو)، حتى ليشكل النسبة الأكبر في طرق وصل الجمل بعضهما ببعض، ولم يرد الا أدعية قليلة كان الوصل فيها بالفاء ، منها قوله عليه السلام (وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم فإني أعوذ بك من الكسل، والهرم،والمأثم والمغرم)

(فاغفر لي مغفرة من عندك فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت) (27)

والفرق بين الواو والفاء أن الأولى تفيد الإشراك في الحكم والاجتماع كما أسلفنا، ومن الضروري أن يكون بين المعطوفين مناسبة، حتى يكون المعنى في الجملة وفقا لمعنى في الأخرى ومضافا له والثانية (أي الفاء) قد تفيد الترتيب والتعقيب، أو التفريع، فكون الله عز وجل قادرا على المباعدة بين المرء وذنبه، فإنه قادر على صون المرء وحمايته من الشرور الدنيوية والأخروية ، وفي الدعاء الأول يدعو الرسول ﷺ بأن يبعده الله عن خطاياه ،ثم يستعيذ من الكسل والهرم، فوصل الجملتين بالفاء لأن فيها معنى الافتراق على كونها أداة وصل،وهذا من البلاغة والفصاحة-

الفصل...

ومثلما كان الوصل ظاهرة في الدعاء النبوي، كان الفصل أيضا موجودا حيث اقتضى الفصل ولزم وصار قائما انظر قوله عليه السلام : - (**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن**) (28)

فقد فصلت الجملة الثانية عن الأولى ولم تربط معها بحرف رابط، وفي أحيان كثيرة يكون الرابط أقوى من أن يعبر عنه حرف عطف . ويكون التأكيد بشيء يشبه التذييل، أو لعله يكون تعليلا للخبر في الأولى . فقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لك الحمد) واتباعه ب(أنت قيم ..) يعني أن الله قيم السموات والأرض،

والمتحكم فيما خلق،والواجب حمده على نعمه، فكأنما الجملة الثانية تعليل للاولى ،وفي هذه الحال يكون الفصل من كمال الاتصال-

فعلى الرغم من أن الجملة الثانية لم تعطف على ما قبلها؛ أي أنها مفصولة عنها، إلا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بسابقتها، فتقديم الحمد والشكر لله متعلق بتقديم الصدقة وإطعام الطعام، ودليل على أن العبد شاكر ربه، لنا دعا الرسول الأمين للرجل بالبركة واليمن، ونبه على ضرورة حمدالزوج الله بإطعام أهله .وظاهر الحال أن الجملة الأولى خبرية في لفظها، بينما الثانية طلبية،ولا يكون الوصل صائبا بين الجملتين المختلفتين،ولكن البلاغة هنا أن الجملةالأولى طلبية لإفادتها معنى الدعاء على كونها خبرية، فهي في معناها تشبه الجملة الثانية، لذا جعلت الجملتان كأن إحداهما امتداد لأخرى، والارتباط المعنوي أغنى عن حرف العطف،مع بقاء العلاقة بين الجملتين صحيحة سليمة إذ إن عطف الجملة الإنشائية على الخبرية لايجوز.

وفي قوله عليه السلام : **(اللهم أنجزلي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)** (29)

فصلت الجمل بعضها عن بعض، لأن بينها رابطة أقوى من رابطة حرف العطف، وكأنما جاءت الجملة الثانية (اللهم آت ما وعدتني) مؤكدة للجملة الأولى (اللهم أنجزني ما وعدتني).والجمل المؤكدة لما قبلها حقها الفصل، فهي لم تأت بمعنى جديد مغاير للذي قبله، إنما هي جزء من الكلام السابق، لذا كان الفصل أولى . مع حقيقة أن الأولى طلبية، والثانية طلبية، وهذا قد يستدعي الوصل، إلا أن تشابه المعنى الذي يفيد التوكيد استبعد الوصل وهذا أحسن وأجمل ٠ ويقول عليه الصلاة والسلام:

(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وانت الآخر فليس بعدك شيء، وانت الظاهر فليس فوقك شيء، وانت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين) (30)

يلاحظ في الدعاء السسابق كيف أن الوصل كان بحرف العطف (و) بين الجمل التي جمعتها معان مشتركة، وهذه الجمل صح فيها الوصل لأسباب الآتية: بداية ءالمسند إليه في الجمل الأربع واحد وهوضمير الرفع المنفصل (أنت) ويجمع بين الجملة والأخرى التضاد بين المسندين: (الأول،الآخر) (الظاهر،الباطن). وهذا من البلاغة بمنزلة؛ إذ يحسن أن يكون الخبر عن الثاني بمنزلة الشبيه أو النظير أو النقيض للخبر الأول، وكلما زادت الصلة السابقة ازداد معنى الجمع في (الواو) قوة وظهورا-(31)

ومثل هذا السياق يرد في عدة مواضع في الدعاء الشريف ،نحو قوله عليه السلام:

(اللهم أنت الصاحب في السفر، والخلفية في الأهل) (32)

تستطيع القول إذن: إن الوصل والفصل جاءا في الدعاء النبوي على نحو كان له بلاغته وتأثيره في إبراز المعنى وتكثيفه، وهذا مؤشر على بلاغة الرسول الكريم ودليل على أن هذا الذكاء البلاغي الذي يراعي المعنى والمضمون لا يمكن أن يكون إلا للرسول عليه الصلاة والسلام، بلفظه وطرائقه.

و كان الوصل في الدعاء أكثر من الفصل، وأكثر الوصل بحرف العطف أو ،وربما يعزى هذا الوصل إلى أن الدعاء فيه لهفة وابتهال واستسلام لله عز وجل، مما يجعل الكلمات والعبارات تخرج على لسان الداعي دون فصل، ونرى أغلب الوصل في الجمل الإنشائية الطلبية، وأكثر الفصل في جمل التوكيد . ([33])

ثانيا : ترتيب الجمل:

إن الجمل بعضها على بعض ،أو تأخيرها ،أو فصلها أو حذفها، لا يكون إلا لغاية بلاغية، ورغبة من المتكلم في التركيز على معنى دون غيره .

وقد عني البلاغيون العرب بأحوال الجملة، ومن أوائل الذين أشاروا لهذه الأحوال عبد القاهر الجرجاني،الذي تحدث عن النظم وطرائقه، واشار إلى أن اتحاد اجزاء الكلام، وتداخل بعضها ببعض وتكاثرها مسلك دقيق، ينبع من توخي معاني الكلام ذاته، والعناية بالفروق الدقيقة بين جمله، إذ قال :

"واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط بأول**ها**، وأن تحتاج في الجملة إلى أن نضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني، يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع يساره هناك . وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة" (34) وساق الجرجاني أمثلة شعرية كثيرة لبيان حسن النظم وجماله،ومنه قول زياد بن الأعجم-(35)

وتظهر هذه العلامات في الحديث النبوي الشريف بصورة جلية، إذ نرى فيه الجمل يتبع بعضها بعضا، ونراها تتداخل وتلتحم، فكأنها جملة واحدة، ومن خلال دراستنا للدعاء النبوي، حاولنا أن نقف على شيء من سر ترتيب الجمل، معتمدين على السياق التركيبي ٠

ونبدأ بقوله عليه السلام :

(اللهم رب السماوات ورب العرش العظيم،ربنا ورب كل شيء،فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والانجيل والفرقان ،اعوذ بك من شر كل شيء انت آخذ بناصيته، اللهم انت الاول فليس قبلك شيء،وانت الآخر فليس بعدك شيء، وانت الظاهر فليس فوقك شيء،وانت الباطن فليس دونك شيء،اقض عنا الدين،واغننا من الفقر) (36)

فلقد بدأ عليه السلام بتعظيم الله عز وجل، والاعتراف بربوبيته، وهذا أقرب للاجابة فذكر الله (رب السموات ورب الأرض) وهذا وفق الترتيب الحقيقي في الواقع، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن السماء أسبق وجودا من الأرض، ثم يأتي على ذكر الحب والنوى(رب كل شيء خالق الحب والنوى) فبعد الأرض وتكوينها، وتمهيدها لتصبح ملائمة للحياة ومظاهرها، يظهر الحب والنوى، رمز الخير والخصب والحياة، وتستقر الحياة وتترسخ مقوماتها ليحيا الناس ويتكاثر، ومع استقرار الحياة وتأمين البقاء الجسدي وتحقيق الأمن الغذائي لا بد من أمن نفسي ومجتمعي نفسي، ومجتمعي، فيذكر النبي الأمين الكتب السماوية (التوراة والإنجيل والفرقان) .

فلا شك أن هذه الشرائع السماوية هي التي ترسي دعائم الحياة الإنسانية، وتحفظها بما تنادي به من تعاليم سمحة، وقد جعلها عليه السلام مرتبة ترتيبا زمنيا، فالتوراة أولا على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، وختمها بالقرآن الكريم على خيرالأنام مُحَمَّد عليه السلام، ونلاحظ هنا العلاقة الوثيقة والترتيب الواقعي للجمل والأحداث.ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :

- **(الحمد لله الذي أطعمناوسقانا،وكفانا وآوانا،فكم ممن لا كافي له ولا مأ)** –(37)

فالإطعام والسقاية، قبل الكفاية والإيواء ، وهاجس كل إنسان أن يبقى على قيد الحياة بسد رمقه من طعام أو شراب، و من ثم يفكر في مكان يؤويه أو كفاية من شر أودفع له .ومثله أيضا قوله عليه أفضل الصلوات والتسليم – :

(اللهم إني أسألك الهدى والتقى،والعفاف والغنى) –(38)

يبدو الجمل واضحا، والعلاقة الوثيقة بين الجملتين، إذ بنيت الثانية على عجز الأولى، فكأنما تنظر إلى هرم أساسه الهدى والتقى، فإذا تحققا عند إنسان فصحت عقيدته واهتدت جوارحه، لا شك أنه سيعفا، ويربأ بنفسه عن المعاصي والآثام، ويستغني عن كل ما يقود إلى ذنب أو خطيئة .

ومنه أيضا قوله عليه السلام :

(اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شر)– (39)

فقد دعا الرسول عليه السلام بأن يصلح الله له دينه، لأن صلاح الدين هو سبيل النجاة وحفظ النفس في الدنيا والآخرة، وجاءت جملة (الذي هو عصمة أمري) تعليلا وتفسيرا لمضمون دعائه . ثم انتقل إلى الجملة الثالثة، وطلب إصلاح الدنيا التي تأتي في المرتبة الثانية بعد صلاح الدين، فهي تتضمن صلاح كل الأمور الدنيوية الأخرى، من صحة وطعام وشراب ورزق، وعلم وغيره ومنه أيضا دعاؤه عليه السلام للميّت:

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَ َايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ) (40)

فالدعاء للميت بالمغفرة والرحمة أولى وأوجب، فيخف الحساب، ثم يطلب له العفو والعافية، والعفو يكون عن الذنوب، والعافية من كل عذاب، فإذا تأكد الغفران وتحققت الرحمة، كان العفو وكانت العافية، وبهذا يصار إلى إكرام النزل وتحسين الدار وحسن الإيواء .

وانظر الترتيب المنطقي في قوله : (واغسله بالماء ، والثلج والبرد، ونقه من الخطايا) فالغسيل فيه شمول لعموم الجسد (عموم الذنوب) فيغسل حتى لا يبقى إلا القليل القيل،ومادة الغسل: الماء والثلج والبرد ،تقضي على كل شائبة،لذا قدم الغسيل هنا، ثم تكون التنقية شيئا فشيئا حتى يجلو جسد-

النتائج والتوصيات:

الحمد لله رب العالمين ، الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تمحى السيئات ، وبمنته تزداد الحسنات ، وتقبل الله هذه الصفحات ، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد أشرف المخلوقات ، وسيد السادات ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فبعد رحلة البحث المتواضعة ، وجولتنا مع احاديث الدعاء، ترسو السفينة بعد طول على مرفأ العودة ، على أمل بمزيد من الدراسات البلاغية النبوية ، التي يكتنفها السحر والجمال ، فهي من قول سيد البشر ، الذي لا ينطق عن الهوى.

فقد وصلت إلى **نتيجة** البحث ، وما زال الإحساس بلذة البدايات يرافقني ، وما زال الترقب ، والشعور بالنقص يغزو أفكاري ، كم أعجب الآن ممن كان يفرح لأنه أنهى بحثه ، لأنني أشعر بمزيد من التوثب المتوتر ، والحاجة

للانقضاض من جديد على البحث ؛ لأكمل جملة هنا ، وعبارة هناك. كما يصعب الجزم بالفرح عند انتهاء أي بحث ، فالبحث يحث على مزيد من البحث ، والترقب مزيد من الترقب ، والانتظار.

التوصيات:

أنصح الباحثين بالتوجه إلى دراسة أحاديث الدعاء وذلك لقلة الدراسات البلاغية ، واللغوية المتعلقة بها ، وأخيراً وليس بآخر أقول: اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا.

الهوامش

[1]-شيماء، مُحَمَّد كاظم الزبيدي (3-4-2017)، "علم المعاني"، www.uobabylon.edu.iq، اطّلع عليه بتاريخ 30-4-2019. بتصرّف.

2- ديوان طرفة بن العبد (٢٠٠٢)شرح مهدي مُحَمَّد ناصر الدين، ط3،دار الكتب العلمية بيروت ص٣٣

[3]- البقرة: ١٧٣

4- السكاكي ،يوسف بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن علي، مفتاح العلوم، المحقق: نعيم زرزور ،ط ١٤٠٧ھ ، دار الكتب العلمية بيروت ص 257.

[5]- الفاتحة، آية 4.

[6]- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد النحوي أبو بكر دلائل الإعجاز، المحقق: محمود مُحَمَّد شاكر أبو فهر ،المكتبة المدني قاهره ص 107-

[7]- النيسابوري: أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، المكتبة البشرى كراتشي ، باكستان، ج 8 ، ص 352.

[8]-البقرة رقم الآية:١٧٣

[9]- دلائل الإعجاز ص 354.

[10]- صحيح مسلم, رقم الحديث،4876

[11]- أيضاً، رقم .4909

[12]- الأنبياء آية 87

[13]- صحيح مسلم ، رقم الحديث46

[14]- فصلت،آية 6.

[15]- مسلم ، رقم الحديث634

16- صحيح مسلم ، رقم الحديث241

[17]- التحريم،أية.8

18- المعجم الوسيط مادة نور.

19- صحيح مسلم ، رقم الحديث1563

20- صحيح مسلم ، رقم الحديث46384

21- العسكري، أبو هلال(1986)،الصناعتين، تحقيق مُحَمَّد البجاوي ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية، بيروت، ص438

22- دلادل الاعجاز /ص222 .

23- الصناعتين ص 438 .

24- اللسان،مادة وصل.

25- صحيح مسلم ، رقم الحديث41

26- صحيح مسلم ، رقم الحديث413

27- صحيح مسلم ، رقم الحديث1153

28- صحيح مسلم ، رقم الحديث415

29- صحيح مسلم ، رقم الحديث1563

30- [صحيح مسلم ، رقم الحديث15634

31- دلادل الاعجاز /ص222 .

32- صحيح مسلم ، رقم الحديث15634

[33]- دلائل الإعجاز ص226

34- دلائل الاعجاز،ص93

35- المصدر نفسه،ص ٩٦زياد بن سليمان بن الأعجم من فحول الشعراء في ,عصر بني أمية، لقب بالأعجم لعجمة كانت في لسانه، قال هذا البيت في قصيدة له يرد فيها على الفرزدق حين سبه وسب قومه.أنظر الأغاني392/15.

36- صحيح مسلم ، رقم الحديث8634

37- صحيح مسلم ، رقم الحديث1234

38- صحيح مسلم ، رقم الحديث352

39- صحيح مسلم ، رقم الحديث4897

40- صحيح مسلم : رقم الحديث 1600 المكتبة الشاملة